

أسوار بلا أبواب

شعر

سينو إبراهيم



أسوار بلا أبواب

اسم الكتاب: أسوار بلا أبواب

اسم المؤلف: سينو إبراهيم

الجنس الأدبي: شعر

الطبعة الاولى: ٢٠٢٥

التصميم الداخلي والغلاف: عادل مروان

التدقيق اللغوي: قاسم حسين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٢٠٩) لسنة (٢٠٢٥)

© جميع الحقوق محفوظة للناشر



للنشر والتوزيع

العراق - نينوى - سنجار

Iraq- nineveh- sinjar

+٩٦٤٧٥٠٧٩٧٣٥٤٦

E-mail: darlena.aae@gmail.com

لا يسمح بإعادة نشر أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكل من الأشكال، سواء كانت إلكترونية أو عن طريق التصوير أو التسجيل إلا بموافقة الناشر الخطية، وبخلاف ذلك يعرض المسؤول نفسه للمسؤولية القانونية.

أسوار بلا أبواب

سينو إبراهيم



(شهيد بحجم الوطن)^(١)

١

شاهين

ركض نحو الموت

كأنه كان يرى الحياة في عيني طفلةٍ تبكي

٢

لم يكن يحمل درعاً

كان يحمل قلباً أكبر من الحرب

وركض به إلى جحيم الرصاص

لينتزع طفلةً من فك الوحش

٣

سقط شاهين

^(١) وهو شاب أيزيدي من سنجار، استشهد في مدينة الموصل عام ٢٠١٧ خلال محاولته إنقاذ طفلة موصلية من قناص تابع لتنظيم داعش، وذلك أثناء عمليات تحرير المدينة.

لكن الطفلة تنفست

وكأن الله قال

“اخترت الحياة لها واخترت الخلود له”

٤

قالوا له “أمامك قنص!”

فأجاب

“أمام القنص طفلة وأمتي هناك”

٥

الطفلة لا تعرف اسمه

لكنها حين تكبر

ستحمل في قلبها ظل ملاكٍ

اسمه شاهين

٦

في الموصل

توقف الرصاص لحظة

كأن المدينة بكت عليه

٦

وعادت تتذكر أن البطولة لا تُشتري

٧

شاهين

سقط جسداً

لكن في حضن الطفلة

صنع وطناً

(منفى القلب)

كان عليكِ ألا تغتربي

أنا والعراق

نحتاج أن تحتفظي بنا في قلبك

كي نشعر بالسعادة لمرة واحدة فقط

(أبحثُ عنكِ في الهواء)

أتأملُ صوركِ

كما لو أنني أريد اقتحامها

لا أكتفي بالنظر بل أعيش التفاصيل الصغيرة فيها

الزاوية التي وقفتِ عندها، الابتسامة التي لم تكن كاملة

الضوء الذي مسَّ وجهكِ كما لو أنه

يعرفكِ أكثر مني

ثم أذهب

إلى نفس الأماكن التي التُقطت فيها تلك الصور

أقف هناك في نفس الزاوية أحاول أن أستنشق

شيئاً منكِ

ظل، بقايا عطر، دفء لم يغادر الجدار بعد

أبقى ساعات، لا أفعل شيئاً سوى أن أبحث عنكِ

في الهواء

أبحث عن عطركِ، أفتش في الريح، في المارة، في
تفاصيل لا يراها غيري
أحياناً يخدعني وهم، فأجري خلفه... ثم أعود، مُثَقلاً
بخيبة جديدة
أبكي
وأبكي أكثر
يتحوّل المكان من حجرٍ إلى موج
من صمتٍ إلى غرق
دموعي تغمر الشارع، الكرسي، الحائط، وتُغرقني
أنا أولاً
وأموت في ذلك البحر
الذي كنتِ أنتِ فيه الضفة ولم تعودي

(أحلام الشعراء)

من شدة حبه للسيارات
كان يعرف كل شيء عنها
أنواعها، أسعارها وشركاتها
كان يتحدث عنها كما يتحدث العشاق عن
معشوقاتهم
لكنه، رغم كل ذلك
لم يكن يمتلك سيارة
ولم يكن يملك حتى ثمن التذكرة للجلوس في
المقعد الخلفي

(عيد العمال)

١

نفضّل ألا تكون هناك عطلة في عيد العمال
فنحن العمال لا نأكل في الأيام التي لا نعمل فيها

٢

أقيم احتفال بمناسبة عيد العمال
حضرنا نحن العمال
بملابسنا الرثة التي التصقت بأجسادنا من فرط
العرق

أما أولئك الذين نظموا الحفلة
فكانوا أنيقين
التقطوا الكثير من "السيلفيات" معنا
صفقوا لنا بحرارة
لأننا ما زلنا على قيد الحياة نخدمهم
انتهى الاحتفال

ركبوا سياراتهم الفاخرة وغادروا

أما نحن
فكان علينا أن نبدأ من جديد
في رحلة البحث عن عمل

(نهاية عائلة)

بعد مرور خمسة عشر يوماً
تم العثور على جثةٍ بجانب البحيرة
التي تقع بالقرب من المخيم
الجثة تعود لطفل صغير
مات غرقاً
أما بقية العائلة
فقد ماتت غرقاً في دموع الأم

(هذيان في غياب الأحبة)

شتاءٌ قاسٍ

وأنا وردةٌ ذابلة

تحت رحمة الصقيع

**

ربيعٌ قاحل

نسيمه نار

وأنا شجرةٌ عارية

تبحث عن أوراقها الخضراء

**

صيفٌ لاهب

هواؤه خناجر

وأنا بحرٌ جاف

يُفتّش في السماء عن قطرة مطر

**

خريفٌ أصفر

منظره كآبة

أستقبلُ بصمتٍ أوراقاً ميتة

ذات أسماءٍ أعرفها ولا أستطيع نُطقها

(مدينة العشاق)

في الليلِ
هناك مدينةٌ
سُكَّانُها مجانينُ
أنهارُها حمراً
ولصوتِ الريحِ فيها أنينُ
مدينةٌ
لا يغيبُ عنها الشتاءُ
وعيونُ أهلِها
مواطنُ البكاءِ
مدينةٌ
تختفي عند الصباحِ
وتعودُ ليلاً
حاملةً آلافَ الجراحِ

لا أحدٌ

سوى أهلها يعرفُ سرَّها

ولا يذوقُ ألمَ العشق

مَن لم يكتوِ بنارها

(المخيم أكبر من الوطن)

ثمانية أعوام مرّت على النزوح
وأظن أن الوقت قد حان
لتمزيق شهادات الجنسية
واستخدامها كأوراق في الـ W.C
خصوصاً
وأن المخيم
يفتقر دائماً إلى الماء

(أسوار من الوجع)

ما كان يخطر لي
أن الحب قد يجعل المرء يعشق الغربة
ويترك بملاء لا إرادته حلاوة الديار
بين العشاق
مسافة أقدام
وفي قلوبهم الأسى والنار
فكيف بنا، يا معذبتني
وبيننا دولٌ وبحار؟
لقد شابَ العمر
وصرتُ في خريفٍ أبديٍّ
لا فكاك منه ولا فرار
الروح فيه ذابلة
وهل في الخريف

تُزهَرُ الأزهارُ؟
 إنني في هذا الوطن
 مثلُ مخيمٍ مهجور
 وحيدٌ تحت الأنظار
 داخلي عذابٌ
 وحولي يا معذبتني
 أسوارٌ وأسوارٌ
 ما عرفتُ من الحياة شيئاً
 كنتُ دائماً
 في وجعِ العشقِ منهازٍ
 إلا شيئاً واحداً علمته
 أن الحب
 قد خلقَ جبلَ الانتحارِ

(أبي)

١

حملتنا على كتفك كما تحمل الأرضُ الجبال ولم

تَشْكُ من الوجد يوماً

٢

لم يكن كثير الكلام

هادئاً بطبعه

لا أذكر أنه قال لنا "أحبكم" يوماً

لكننا كنا نراها كل مساء

في تعب يديه

٣

إن كانت الجنة تحت أقدام الأمهات

فإن الدنيا جنة بين يديك

(حرمان)

محرمون من الحياة
محرومون من الحب
محرومون من الحنان
من الطبيعة.. من البسمة.. من الطفولة
محرومون من الحرية
لم يمنحنا هذا الوطن شيئاً
سوى قليلٍ من الهواء نستنشقه
هواءٍ مشبعٍ برائحة الدم
مُثَقِّلٍ برائحة الجثث

(الخوف الأكبر)

في كل مرة يمرضُ أبي
يموت واحدٌ منا من الوجع
وأنا الآن في قبري
أخافُ كثيراً أن يمرضَ أبي يوماً
لأنَّه لم يبقَ لنا سوى أُمي

(صراع الروح والشك)

لو كنتُ أعلمُ أن الآخرة حقيقةٌ
 تضيءُ دربي كما النجمُ في الليلةِ الظلماءِ
 لما ترددتُ في طلب الموتِ
 لأكونَ معكَ هناك
 في جنةٍ لا تفنى أو نارٍ تحتضنُ الأحبابَ
 لكنني في ظلِّ الشكِّ أمضي
 أخشى أن تكونَ الآخرةُ وهماً
 أن أغادرَ هذه الدنيا بلا وداع
 وأن يبتسمَ الشامتون على قلبي المنكسرِ
 وحيداً في صمتٍ قاتلٍ
 بين وهم الحياةِ ومخاوفِ النهايةِ

(في ظلال النسيان)

الحياة في داخلي تذوي
 تميل إلى الرحيل بلا وداع
 أُمي باتت تنسى الأشياء
 كأن الذاكرة تسقط منها
 وتترك خلفها فراغاً بارداً
 ينمو في صدري كجدارٍ لا يُرى
 أخشى أن أنسى معها
 أن أضيع في زمنٍ لا يعود
 حيث تختفي الوجوه والكلمات
 ويبقى الصمتُ وحدهُ شاهداً

(غروب الحلم)

ها قد شابَ العمرُ
 وتساقطتِ الأسنانُ
 بقيتَ مسجونةً خلفَ قضبانِ شفتين
 لم تسمحَ لهما الحياةُ
 أن تقضمَ النور
 ولا أن تضحكَ كالأطفالِ في فجرِ حنين
 ذبلتِ الأمنياتُ
 وتحطمَ الحلمُ فوقَ أكتافِ السنين
 أين ذاكَ الصوتُ؟
 الذي كانَ يملأُ البيتَ دفناً؟
 رحل كما يرحلُ العيدُ
 عن دارِ يتيم

(قطرة من وجع)

لو تحللون الدمعة ستجدون العجب

كيف لكل هذا الحزن

أن يجتمع في قطرة ماء واحدة!

(سند صامت)

العكاز هو الابن الوحيد

الذي تتكى عليه

حين نشيخ

(لحن الخطي)

صوت مشية أُمي

موسيقاي المفضلة

صوت مشية أُمي

لحن لم تكشفه آلة

(حوار مع القمر)

في هدوء الليل، قال لي القمرُ
 لم أذق طعمَ النومِ ليلةَ البارحة
 فأجبتُه همساً
 وأنا كذلك سهرتُ الليلَ كله

فقال

لقد حرمني بكاءُ الأطفالِ الجياعِ في المخيمِ من السكون
 كان أنينهم يعلو فوق صمتي ويخترقُ قلبي
 ثم نظر إليّ وسأل:
 وأنت، ما الذي أبقاك مستيقظاً؟
 فأطرقتُ قليلاً ثم قلتُ:
 لأنني أحدُ أولئك الأطفال

(لقاء في الخيال)

ألتقيكِ في عوالمِ الحلم
أسرقُ شيئاً من عطرك
فأحملهُ إلى واقعي
وأتنفّسه كأنه الحياة
تلك هي طريقي الوحيدة
للبقاء حياً

(رغبة أخيرة)

أريد أن أغادر هذا المخيم
أريد أن أبتعد عن هذا العالم المزدهم بالقسوة
لا أطلب كثيراً
فقط أريد أن أرى شئك
لا لشيء
بل لأستنشق رائحةً جميلة
تُشبه الحياة
قبل أن أودّعها

(عيد الحب)

لا الزوج حاضرٌ
كي يهدي لزوجته وردة
و لا للزوج قبر
كي تضع هي وردة عليه!

(سقوط الورقة)

اصنع السعادة من أوجاع الفراق
وانظر إلى الحب كشجرةٍ
إن سقطت ورقة
بقيت الأوراق
لكن ... عذراً!
قف لحظة
فأوجاع الفراق
لا تُكتب في سطور
ويحدث
إذا سقطت ورقة واحدة
أن تُقتلع الشجرة من الجذور!

(هناك وهنا)

الذين هناك ينسون وجع الغربة بعطرك
نحن هنا بحاجة لنسخة ثانية منك
ننسى بعطرها أوجاع الوطن

(القائد المقدام)

إلى فخامة القائد

قاسم ششو:

مَنْ قَالَ

في سنجار

جبل واحد

في ديارنا جيلان

الجبل الصخري ينكسر

ولا ينكسر هذا الإنسان

**

حين يرى العدو

قسمات وجهك

يسقط من يده السلاح

وإذا نطقَ لسانك حرفاً

صار في كبد العدو أرماحُ

**

عداك يا سيدي
لن تصبح سنجار
تحت زعامة أحد
لا نود غيرك قائداً
فليس هناك ملك
في حضور الأسد

(عيون ساهرة)

الحكام جلبوا الأعداء إلى الوطن
ثم ناموا مطمئنين في أحضان زوجاتهم
على سررٍ دافئة

أتظاهروا بالفخر وأنا أحرس الحدود
ليس حباً بالحرب
بل خوفاً من جوع أطفال

ليلٌ طويل ، بردٌ قاسٍ
يُداي بالكاد تحملان البندقية
قشعريرةٌ تهز جسدي
والمطر ينهمر كرصاصةٍ باردة

كل ذلك لا يعنيني
فما يشعلني من الداخل
أني أعلم أن أُمي
ساهرة العينين
حتى الصباح

(ركيزة الألم)

قال والدموع تبتسم بحزن وهي تنجو من عينيه

المظلمتين بالكآبة

يا الله كان بإمكانك أن تأخذ عيناً من عينيّ أو يداً

من يديّ أو ما تشاء

لكن لمَ القدم؟

كيف لجسدٍ متخمد بالألم أن يقف على قدمٍ

واحدة؟

إنها لا تكفي لتكون دعامة لهذا الخراب الداخلي

(طفولة على الرصيف)

في طفولته لم يكن كغيره من الأطفال
 لم يعرف طعمَ الدراجة ولا لهو الكرة ولا حلاوة
 الألعاب
 كان يعين عائلته منذ نعومة أظافره
 صار حملاً، راعياً وبائعاً على أرصفة الطرق وغير
 ذلك كثير
 كان طفلاً لكنه عاش كعاملٍ كبير
 وربما لهذا ظنَّ عزرائيل أن الشيخوخة سبقتَه
 فأخذ روحه حين بلغ الخامسة عشرة
 ظناً منه أن الطفل قد شاخ!

(صياحُ الديك)

يا ديك
كفى الصياحُ
أتظنني نمتُ؟
أو أن قلبي
قد استراحُ؟
يا ديك
أنا متيقظ
وهل ينامُ
مَنْ صار قلبه موطناً للجراح؟
تمنيته ملك الموت
لا بشيرَ الصباحِ
ما حاجتي إلى النور
وحبيبي قد غابَ

قد راحُ
يا ديك
صوتُك
يفتحُ أبوابَ أحزاني
ويلقي إليَّ المفتاحُ

(كفن واحد)

قطعة قماش واحدة

كافية أن تكون كفنًا

لمقبرة جماعية كاملة

(حين يصير القبر أمانة)

تريد الأمُّ ابناً
 تحتفلُ بنجاحه
 تُزهرُ بفرحه
 تراهُ يعيشُ حياةً جميلة
 ذلك كلُّ ما تريده الأمُّ
 لكن
 ماذا تريدُ الأمُّ الإيزيدية
 في هذا الوطنِ المنهك؟
 لا تطلبُ فرحاً
 ولا تنتظرُ نجاحاً
 بل تبحثُ فقط عن عظامِ ابنها
 عن قبرٍ يضمه
 كي تبكي عليه بسلام

(ذاكرة القلب)

قلوبنا مليئةً بنُسخِ الراحلين
 أحدهم تحت التراب
 ونسخةً منه لا تزال تنبض فينا
 أحدهم في الغربة
 ونسخته تجلسُ معنا في كل مساء
 إحداهن مع عاشقٍ آخر
 ونسخة منها في ذاكرتنا
 وأحدهم قد تغير
 لكننا ما زلنا نُحبُّ نسخته القديمة
 نعم
 قلوبنا مزدحمةٌ بنُسخٍ من رحلوا
 حتى لم تعد فيها مساحةٌ للسعادة

(كأنك تسكنني)

سكنت في لدرجة
صار العالم يناديني باسمك
وصار صدى صوتك يسبقني في كل حديث
أمشي فأشعر بخطاك تسبق خطواتي
أضحك فيرتد صدى ضحكك بين ضلوعي
كل من عرفك فيني
قال "هذا خالك يحكي"
حتى ملامحي ما عادت لي وحدي
تشبهك في شيء لا يُفسر
أنت لم تغب .. أنت تسكنني

(الميدانك)^(٢)

في الصباح البارد
 تفتح الساحة ذراعيها لنا
 نقف صفوفاً من الصبر
 وجيوبنا فارغة إلا من الأمل
 تأتي السيارات ببطء
 عيننا تلمحها قبل أن تقترب
 فنركض
 كأن الركض أسرع طريق للحياة
 يختارون البعض
 ونعود نحن إلى الرصيف
 نجلس على ظل الجدار

^(٢) الميدانك: اسم يطلق على ساحةٍ يجتمع فيها العمال، فينتظرون قدوم من يبحث عن يدٍ عاملةٍ لإنجاز عملٍ ما.

ونعدّ المارة كأننا نعدّ فرصاً ضاعت

العمل هناك

ليس إلا معركة مع الحديد والتراب

نحمل الأرض على أكتافنا

ونرجع في المساء

وفي جيوبنا مبلغ صغير

يكفي ليؤجل الجوع يوماً آخر

لكننا

في كل صباح

نعود إلى الميدانك

كأن الساحة وعد

وكأن الركض خلف السيارات

هو صلاة الفقراء

(جثة من مقبرة حردان)

لو سمعتُ صوت أُمي
كنتُ سأعودُ للحياة
فقالوا لها
أُمك في الأسر منذ ثمانية أعوام

**

قالت : التراب يملأ فمي
لو شربتُ ماء سنجار
كنتُ سأحيا ثانيةً
فقالوا لها
سنجار مثل عيوننا
قد جفت

**

كنتُ سألملم لحمي
من أحشاء الديدان
وأعودُ إليكم مجدداً

لو رأيتُ ربيعِ حردان

فقالوا لها

لقد أحرقوا حردان

مثل قلوب الأمهات

**

قالت: واخيبتني أين أنتم؟

إرجعوني إليكم؟

فقالوا لها

نحن في الخيم ننزف

بل إننا نحسدكم!

(جنون القلب)

أعلمُ

أنَّ عينيكِ الكحيلتين

ليستا لدهشتي

وأنَّ شعركِ المنسدلَ حتى الخصر

ما كان يوماً خيارِي

أعلمُ

أنَّ البسمةَ الملتصقةَ بشفتيكِ

ليستُ لفرحي

وأنَّ يدكِ الممدودةَ

لا تطلبُ أبداً يدي

أعلمُ

أنَّ العطرَ المسروقَ من الجنةِ

ليس أبداً لأجلي

وإنما أوهام وأوهام
كل ما يدور في عقلي
أعلمُ
أنَّ عينيكِ الساهرتين
لا تحترقانَ بحنيني
وأنَّ روحكِ
لم تُخلَقْ لإسعادي
في ما تبقي من سنيني
لكن هذا القلبَ
لا يسمعُ نداءي
فهو كالحجرِ
جمادٌ لا يلينُ
يعشقُ العذاب
ويهوئُ العشق
من طرفٍ واحدٍ
لكن هذا القلبَ

قد صار لي عدواً لعينُ

يزيدني وجعاً

ويطيرُ بي

نحو هاويةٍ

من الحنينُ

(أمومة معلقة على صخرة)

حملته تسعة شهور
 ثم تركته دقيقة واحدة
 فأنجبت موتي الأبدي
 وضعتك بجوار صخرة
 وهمست لها
 "كوني حضناً"
 أعرف أنك حجر
 لكن الحجر أحنُّ
 من وطن لا يرانا بشر
 غرست أظافري في التراب
 علّ الجبل يمسك يدي
 ويمنعني من الهرب
 تركت طفلي للجوع

للذئاب
للنسيان
للريح الباردة
ولصوتي وهو يناديه من بعيد
ولا يصل
كنت تبكي
وأنا أكمم فمك براحتي المرتجفة
كأني أقتل نفسي على مهل
حين التفثُ
كنتَ تحاول أن تزحف ورائي
بكيثُ وصرثُ أركضُ
لأهرب من عينيك
سامحني يا نبضي
أنا لم أعد أماً
بل خرقةٌ من عارٍ وقهر

تمشي حافيةً
على شظايا الوطن
يا صغيري
لن يعرف أحد
ماذا يعني أن تترك أمُّ ابنها
لأنها لا تقوى على حمله
ولا تقدر على دفنه
ولا تستطيع أن تموت معه
تركْتُك
والذئاب لم تأتِ بعد
لكنها أرحمُ من البشر
فالذئاب تقتلك جائعة
أما هم
فيقتلونك لأنك وُلدت
كل ما أملكه الآن
اسمك في صدري

صورتك في الغبار
 وقلبٌ ينزف دون توقّف
 حتى لو توقّفتُ عن البكاء
 حين وصلتُ المخيم
 كانت النساء يرضعن أطفالهن
 أما أنا
 فكنتُ أرضع الحجارة
 لا تغفر لي
 فأنا لا أغفر لنفسي
 إني أمٌ مشنوقةٌ
 بخيط حذائك
 الذي لم أربطه جيداً
 آخر مرة

(نساء من حبر)

ما عاد في الحب
امرأة تستحقُّ الشعر
ولا الغزل
ولا الثناء
لذا
قبل أن أكتب
أخترع النساء!

(شجرة بلا ربيع)

أنا شجرة

أسقوني بالدموع لا بالماء
ما غردت بلابل فوق أغصاني
ولا صدحت عَصافيرُ المساءِ

أنا شجرة

ما أزهرت يوماً
ولا لمعت على كفيها الثمارُ
لم يغسل المطر وجهي
بل سكنني الغبارُ

أنا شجرة

ما صافحتها نسمة ربيع
بل ظل خريف الأحزان
يحكمني ويكتبني سيرة نزيـف

(بين قلبين أضيع)

أمي هناك
تخبز قلبي بالدعاء
تعدّ غيابي بالألم
وتطفئ نوافذ البيت كي لا تراني في المارين
وحبيبتني هنا
توقظني على اسمها
وتزرع صمت المدن بصوتها
وتصيرُ الغربة وطناً إن ضحكتُ
أنا بين قلبين أضيع
واحدٌ علّمني الحنان
وآخرُ سرق الأمان
واحدٌ يشهقُ إن تأخرتُ
وآخرُ ينهارُ إن نسيت

أُصْلِيّ كِي أَقْسَم قَلْبِي نَصْفَيْن

وَأَفْشَل

فَكَلَاهُمَا وَطَن

وَكَلَاهُمَا أَنْثَى

وَكَلَاهُمَا نَار لَا تُطْفَأُ

(حين تضحك الروح حقاً)

تشتاقُ الروحُ إلى تلك اللحظةِ النادرةِ
 التي يبتسمُ فيها الفمُ بصدق
 لا خجلاً ولا مداراةً لوجعٍ يتوارى خلف الضلوع
 تشتاقُ إلى ضحكةٍ
 لا تُسأل ما الذي تُخفيه
 ضحكةٍ لا تخونها العيون
 ولا يفضحها الانكسارُ العالقُ بين النبضات
 تشتاقُ إلى نبضٍ نقي
 يمرُّ على جراحِ الأمسِ لا كالغريب
 بل كمن يعرفُها يُحنو عليها
 ويعبرُ بها إلى ضفّةٍ أخرى
 أكثر هدوءاً وصدقاً

(أثقل من الحب)

كان يؤمن بالحب كمن يؤمن بالمعجزة
لكن شيئاً فيه مات ولم ينهض
ربما كانت أحزانه
أثقل من أن تداويها امرأة
وأعمق من أن ينقذه قلب آخر

(حب لا يتوب)

كم مرةً تابَ القلبُ أن ينسأكَ
 ثم نسي التوبةَ واحترقَ في هواكِ
 سأقلعُ عينيَّ يا معذبتِي
 فلماذا لا ترى في الدنيا سواكِ؟
 لا تظني أن القلب قد نسيكِ
 فما زلتُ في الحب
 سيِّدَ المجانين!
 العاشقُ إن تظاهر بالنسيانِ
 فهو يحترق بصمتٍ
 وتشتعلُ فيه نيرانُ الحنينِ

(ما بعد الجنة)

من نجح في اختبار الحياة

أسكنه الله الجنة

ومن نجح في اختبار الجنة

خلقه الله في سنجار!

(في ظلك.. متى أكون؟)

يا من سميتني ولداً
لكنك ما تركت لي يوماً متسعاً لأن أكون
كلما حلمتُ كسرتَ جناحي
وكلما نطقْتُ قلتَ
"اسكتْ لا تعلو فوق السكون"
ربيتني بالقيد لا بالحنان
صوتك سوطٌ ونظرتُك طعنٌ في الكيان
حرمتني من ضحكتي من اختياري
من أن أقولَ "لا"
من أن أعيشَ كإنسان
كبرتُ في سجنك لا في حضنك
وها أنا ظلُّ مشوه نصفه أنت
ونصفه حرمان

فهل كنتَ أباً أم كنتَ سجيناً؟
وهل تحبني أم تُحبُّ الطغيان؟

(في الغربة)

قطرات المطر في الشتاء
ليست ناعمة كما يكتبها الشعراء
بل خناجر صامته
تغرس أنيابها في القلب
تقطعه إلى أشلاء
في الغربة
القلب نافذة مفتوحة على الريح
على الغبار على الطعنات
نافذة لا باب لها
ولا قفل
ولا ظل أحد
لا شيء يسد النافذة
إلا صوت الأمهات

ذاك الصوت البعيد
الذي لا يحمل خبزاً ولا دفئاً
لكنه وحده
يعيد للعظام قدرتها على الوقوف
وللروح وهم الأمان
في الغربة
ينام الجسد على وسادةٍ من حجر
ويحلم بصوتٍ كان يقول
ارجع لقد برد الحساء

(وحيد بعد اثنين)

كنت أسمع أمي تقول لأبي يا روجي
وحين مات أبي
ظننت أن روح أمي ماتت معه
لم أكن أعرف أن الأرواح يمكن أن تُستبدل
وأنها ستتزوج
وتتركني وحيداً في جنازة طويلة لا تنتهي

(قيس المنسي)

أن تكون لقلبها قيساً
وهي ليلي في حزن غيرك
أن تنادى بها بحرقة العمر
فتهمس لغيرك كأنك لم تكن

(تحذير)

لا تُصدقي شاعراً يُحبك
فهو ما صار شاعراً
إلا لأنه خُذِلَ من امرأةٍ لن ينساها

(العطش في حضان الجبل)

ترك عكازَه تحتَ شجرةٍ يابسة

كأنه قالَ لها

هذا أنا.. اسندي ظلي

شفاهه تشققت

حتى صار الدعاء نزيفاً

ماتَ

ويدهُ ممدودتان للغيم

كأنه كانَ يُلقنُ السماءَ درساً في الرحمة

(زنبقة من بين الصخور)

يا ابنة الرماد والنار

يا من خرجت من فم الوحش ولم تنكسري

أمد لك قلبي، لا شفقتي

تعالِي

لن أطلب يدك، بل سأخذها برفقٍ

كما تأخذ الأرواحُ المطرَ بعد الجفافِ

أعلمُ أنهم قالوا

لكن دموعك لا تُدنس

وجسدك ليس كتاباً يكتبه الأوغاد

أنتِ طاهرة

كما تخرج الزنبقة من بين الصخور

أنا لا أراكِ ناجية

بل بطلةً خرجت من الجحيم

وما احترقَ منها شيء

(رحمٌ ينتظر النور)

أحضنُ الفراغَ كل مساء
 كأنه طفلٌ تأخر في الوصول
 بطني
 أرضٌ صلت كثيراً
 ولم تمطر
 أدخل إلى متاجر الأطفال
 كمن يدخل بيتاً لا يملكه
 ألمس الثياب الصغيرة
 كأنني ألمس حلماً لا يكبر فيّ
 يمر الأطفال كالعصافير
 وأنا شجرةٌ بلا عش
 كل طفلٍ يضحك في الشارع
 يسرق من قلبي نبضة

ويتركني
أعد خطاه إلى قلبي
أنا أم
لكن الزمن منع
أن يضع اسمي
على شهادة ميلادك
أنا أم
لكن لا أحد
يناديني ماما
كل ليلة
أشمتُ دفءَ جسدٍ لم يولد
أحتضنُ فراغاً صار منزلي
وأبكي طفلاً لم أحتضنه أبداً

(عذراً.. سأعدمك)

أضع رأسي على كتف المجرم
 أستنشق من ثيابه رائحة الأزقة الفقيرة
 والأمهات المنهكات خلف الأبواب الصامتة
 أشم صراخ الجوع
 وضرب الأب
 وبرد الشوارع حين لا حضن في البيت
 أقول له
 أعلم لماذا صرت هكذا
 لم تكن أنت الشر
 بل الشر هو ما صلبوك عليه
 ثم أبكي عليه
 كأني أبكي نفسي
 قبل أن أوقع على حكم إعدامه

(رقص على رماد الألم)

المجانين

يسرقون من الحزن ملابس العيد

ويرقصون في جنازة العالم

كأنهم لا يعرفون الموت

في عيونهم

شمسٌ لا تغيب

حتى لو اشتعلت السماء رماداً

ضحكتهم

سكاكين في قلب المنطق

يشقون بها الواقع

ويخيطونه بخيوط الوهم

سعادتهم

مثل طائفةٍ من ورق

ترتفع فقط لأنهم لا يملكون ثقل العقل

هم لا يكون

لأنهم لا يعرفون لماذا يجب أن يُحزنهم العالم

إنهم يضعون الزهور على القمامة ويتسمون

المجنون

يمشي حافياً فوق الأسلاك

يغني

ولا يدري أن العالم تحت قدميه يحترق

سعادتهم

مثل طفل يضحك على النار

لا يعرف أن اللهب ليس لعبة

حين نضحك نحن

نخاف أن تُفضح جراحنا

أما هم

فيضحكون حتى تنفجر السماء بالنجوم

(صوت لا يسمعه أحد)

المكتئب

ينام كما لو أنه يدفن نفسه

و يستيقظ

و كأنَّ أحدًا ينبش قبره

في صدره

غرفةً بلا نوافذ

يمكث فيها مع أفكاره المتعفنة

ولا أحد يسمع صراخه

ضحكته

مثل طلاء على جثة

تحاول أن تبدو حية وهي تفوح

داخله

طفلٌ يتقيأ الضوء

لأن الظلمة فيه أصبحت رحماً جديداً

الكآبة

ليست غيمة

بل حبلٌ غير مرئي

يضيّق على الروح كلما ابتسم للناس

قلبه

مقبرة صغيرة

يدفن فيها كل رغبة

وكل حلم

(ولادة بلا ميلاد)

ماتت وهي تلد
فلا نَعَمْتُ بالأُمومة
ولا هو ذاق حنانها
رحلا معاً في لحظةٍ واحدةٍ
هي إلى القبر
وهو إلى الوهم المسماة حياة
الفقدُ واحد
لكن طريقتي الموت مختلفتان

(رسالة من أم صلاح إلى وطن لا يسمع)^(٣)

١

كنتُ أغسلُ قدميه قبل النوم
واليوم أغسلُ دمه عن الجدران

٢

صلاح لم يمت
بل انكمشَ في كف الله كعصفورٍ مذعور
هربَ من سماءٍ لا تحفظُ أبناءَها

٣

يا حكومتي
طفلي لم يكن يعرفُ السياسة

^(٣) صلاح شفان خضر، فتى إيزيدي يبلغ من العمر نحو ١٢ عاماً، استشهد عام ٢٠٢٢ إثر غارة تركية بطائرة مسيرة استهدفت مركز ناحية سنوني ضمن قضاء سنجار، بينما كان يعمل في محل والده لبيع الكتب والقرطاسية.

كان يعرفُ فقط أنني أحبه
وأن العراقَ بيته

٤

حين سقطت القذيفةُ على صدره
سقطتُ كرامةً وطنٍ بأكمله
سقطت السيادةُ من أعيننا كدمعة لا تمسحها

السماء

٥

لقد أعطيتُ العراقَ طفلاً
فأعادَ لي رماداً في كفنٍ أصغر من صدره

٦

أيتها الحكومة
أنتِ لم تكوني غائبةً
كنتِ هناك
تشاهدين موتَ صلاح
من شرفة صمتكِ الفاخر

٧

لم يودعني صلاح
كان يظن أن ظهرَ الوطن لا يُطعن

٨

أريد جواباً
لماذا ينامُ القادة على سرر ناعمة
وأمهاتُ العراقِ
ينمنّ على قبور أطفالهن؟

٩

صلاح مات
لكن أنتم الأموات
أنتم من لا يسمع صرخة أم
ولا يهتمه أن يُغتصب وطنٌ تحت طائرات الغرباء

١٠

أيها الساكتون باسم السيادة
أعطوني صمتكم

أريد أن أدفنه مع صلاح فهو لا يليق بالأحياء

(أرقام لا أسماء)

١

نامَ الوطنُ في حقيبةٍ ممزقةٍ
وأفقتُ في مطارٍ لا يعرف اسمي
كانوا ينادون أرقامنا
وكأننا شُحنات

لا بشر

٢

في الغربة
أضعُ وجهي على الوسادةِ فلا يتذكرني أحد
المنفى ليس بلداً
المنفى أن تُصبح غريباً حتى عن صورتك القديمة

٣

نحنُ اللاجئون
نكتبُ أسماءنا على الخيام
كي لا تُخطئنا الرياحُ حين تُعيدنا رماداً

٤

مررنا على الحدودِ
 كمن يسرق نفسه من النار
 وما إن عبرنا
 حتى أطفئنا فينا الحياةُ باسم النجاة

٥

كانت جدتي تقول:
 "الأرضُ أمك، لا تهجرها"
 فكسرنا قلبها
 وهربنا من موتٍ إلى موتٍ آخر
 يبتسم بلهجةٍ أجنبية

٦

في وطنك
 كان الحزن يُرَبِّت على كتفك
 في الغربة
 لا أحد يعرف كيف يُترجم وجعك

٧

اللاجئ

هو الذي خسر بيته ثم لغته

ثم ملامحه

ثم نسي كيف يبدأ اسمه بالبكاء

٨

هَجَرْنَا

فصرنا نُحمل في الشاحنات كما الخراف

ننتظر أوراقنا كما ينتظرُ الجندي عفوهُ

ونبكي سرّاً لأن دموعنا لا تملكُ تصريح إقامة

(وطنٌ تحت ظلال الفساد)

في العراق

تُكنسُ الساحاتُ من الأوساخ

لكن القذارة تسكنُ في المكاتبِ الفخمة

الفساد في العراقِ ليس سلوكاً طارئاً

بل شجرةٌ وارفةٌ جذورها في صدرِ الدولة

وظلالها على رأسِ الفقير

في العراق

يأكلُ الموظفُ من قلمه

ويشربُ المديرُ من توقيعهِ حتى الثمالة

المنصب في العراقِ كالغنيمة

من دخله لا يخرجُ إلا والثروة في يد

والفضيحةُ في يدٍ أخرى

الفساد هنا لا يختبئ

بل يمشي بثيابٍ رسمية
 يحضنُ الكاميراتِ ويبتسمُ في المؤتمرات
 الوظيفة ثُباع كما يُباع الهواءُ في قناني
 ومن لا يملكُ الثمنَ يَخْتَنقُ بأمانيه
 الدوائر الحكومية متاهةٌ من الورقِ والدخان
 لا تنجو منها إلا إذا كنتَ تحملُ مفتاحاً اسمه
 "أعرف فلان"

في العراق
 القانون طفلٌ يتيم
 يربيهِ الذئبُ ويطعمه من فتاتِ الغنيمة
 كل بابٍ في الدولةِ تحرسُهُ رشوة
 وكل توقيعٍ يحتاجُ إلى محرمٍ سياسي

(تمزق لا يخاط)

الفقر لا يسرقك دفعة واحدة
بل ينتزعك عظمةً بعد عظمة
ثيابُ الفقراء تمتلئ بالرقع
لكن أرواحهم أكثر تمزقاً
في عيون الطفل الفقير
المدرسة حلم
والحذاء كنز
والخبز جائزة نادرة
الفقر ليس عيباً
لكنه صفةٌ يومية بلا يدٍ تعتذر

(خريطة من دم)

١

في جيب الطفل العراقي
رصاصة قديمة بدل المصروف
وصورة لأبٍ لم يعد من الحرب

٢

العراق

أمٌ تضع على قبر ابنها وردة
ثم تقتلعها في اليوم التالي لتضعها على قبرٍ جديد

٣

العراقي لا ينام

بل يطفو في الليل بين تفجيرات الأمس
وأحلام لا تجرؤ على الاستيقاظ

٤

أوجاع العراق

أرملةٌ تخيطُ فمها بخيوط الصبر

وطفلٌ يبيع الدموع مغلفةً على هيئة مناديل

٥

العراق جريحٌ

لا أحد يربط جراحه

الجميع يقيسها ليعرف كم يربح من النزف

٦

الوطنُ في العراق

يشبه بيتاً بلا أبواب

كل من يدخل ينهب شيئاً ويخرج

٧

الحرب لا تنام في العراق

تضع رأسها على صدورنا

وتحلم بخرابٍ جديد

٨

في العراق

الطفلُ لا يرسم بيتاً وشجرة

بل دبابة وسماءً مشقوقة بالنار

٩

كل عراقي يحمل في جيبه خريطة

لكنها ليست للوطن

بل للقبور التي عليه زيارتها

١٠

العراق

وطنٌ يضعُ رأسه على وسادة التاريخ

ويحلمُ أن لا يُوقظه الانفجارُ القادم

١١

العراقي لا يبكي كثيراً

لأن دموعه أصبحت تُهدر كالماء في وطنٍ

عطشان

١٢

في وجوه العراقيين

خريطةٌ وجع لا تمحى

٩٨

حتى لو نزل المطر ألف مرة

١٣

في العراق

ليس الزمن ما يمضي

بل الناس

١٤

يولدُ الطفلُ العراقي

وفي مهده شهادةُ وفاة مؤجلة

١٥

لم تعد الأرض تروي قصص أجدادنا

لقد اختنق التراب بدخان الحرب

ونطقت الجدران

"لا تسألوني عن الماضي.. قُصفوه"

١٦

الشارعُ مكتظٌ بالعابرين

لكن لا أحد حيٌّ حقاً

٩٩

الجميعُ يجرُّ روحه كأنها حقيبةٌ لجوء

١٧

في العراق

الطفولة لا تمشي

إنها تزحف بين الركام

١٨

في العراق يدفنون الشهيد على عجل

لكي يفسح الدور لأخر قادم

(شظايا الصبر)

أنا لستُ امرأةً ضعيفة
 لكنني أنامُ كل ليلة على شظايا صبري
 وأستيقظُ على صراخٍ لم أعد أميزه
 هل هو صراخي أم صراخ أطفالٍ؟
 هو لا يراني
 صوته سوطُ
 ونظرته خنجرُ
 وحضوره غيابٌ أثقل من الوحدة
 لكنني لا أهرب
 ليس لأنني أحبه
 بل لأن أطفالٍ لا يعرفون للنوم طعمًا
 إلا إذا وضعتُ رأسي بجانب رؤوسهم
 أطفالٍ

هم السور الأخير لقلعة سقطت
 وكلما فكرتُ أن أركض بعيداً
 أسمع خطواتهم الصغيرة خلفي
 تبكييني قبل أن أبكيهم
 أنا امرأةٌ تعيشُ مع رجلٍ لا يعيشُ معها
 لكنها لا ترحل
 لأن الأم لا تخلع أمومتها كما يُخلع الخاتم من
 الإصبع

(في قلبي جبهة لا تهدأ)

رغيفٌ واحد على الطاولة
تنظر إليه كمن يوزع الحياة بعدلٍ على موتى
كل مساء
تُغني لأطفالها أغنيةً
تعلم جيداً أنها لا تُشبع الجوع
لكنها تُسكت الألم
أنا تلك التي اختارها القدرُ
لتكمل الحرب وحدها
بأطفالٍ لا يفهمون لماذا
أبوهم لا يعود حتى في الحلم

(إلى كرم حصراً)

كرم

يا ابني الذي لم تلمسه يدُ القابلة
ولم يُعلق له مهدٌ على سقفِ البيت
يا اسماً كان يشبه الندى حين نتهجاه على الشفاه
وكنْتُ أراه يُركضُ بيننا قبل أن نتزوج
قبل أن نَفترق
أمك تزوجت الحنين
وأنا تزوجت وحدتي
وأنتَ... بقيتَ في المنتصف
تعيش في ظل أبوين لم يلتقيا بعد الولادة

كرم

لو كنتَ هنا

لعلمتك أن لا تُحب امرأةً حتى تتيقن أن الوداع لن

يأتي منها
وأن تسأل عن آخر أحزانها قبل أن تغازل أولى
ابتساماتها
ولو كنت هنا
لكنت الآن نائماً على صدري
بدلاً من أن تكون نائماً في رأسي
كرم
يا اسماً عالقاً بيني وبينها
يا حلماً مؤجلاً منذ آخر لقاء
اعذرني لأنني أنجبتك بالكلمات فقط
فأنا والدُّ من ورق
وأنت ابنٌ من حبر

عن المؤلف

شاعر وقاص، نُشر له في عدة مجلات وجرائد محلية وعربية.

وأنا أقرأ نصوص الموهبة السنجارية الواعدة (الشاعر سينو إبراهيم)
 استوقفتني أغلبها لما فيها من نضج: (نضج كتابي ونضج إنساني)،
 فهو يمزج بين الواقع والخيال ويرثي خلالها الأحلام المكدّسة حاملاً
 همومه الذاتية وهموم أمّته، ليرسم لنا صورةً لتجربة إنسانية
 ووجدانية عن طريق الكلمات بمهارة عالية وصدق كبير.

الشاعر: قاسم حسين / رئيس منتدى سنجار الثقافي

